



+ آباؤنا القديسون

يوحنا المعمدان

تعيّد كنيسة المقدسة في التاسع والعشرين من آب لتذكّار قطع رأس القديس يوحنا المعمدان، الملقّب بالسابق والصابغ. السابق لأنه سبق يسوع وهياً الطريق أمام مجيء الرب، "صوت صارخ في البرية أعدّوا طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة" (لوقا ٣: ٤)، والصابغ لأنه عمّد (صبغ) يسوع قبل أن يبدأ الرب بشارته. يوحنا هذا "جاء للشهادة ليشهد للنور لكي يؤمن الكل بواسطته" (يوحنا ١: ٧).

يلعب يوحنا المعمدان دوراً مهماً في تاريخ الخلاص. فقد اختير قبل مولده ليكون مبشراً وسابقاً للمسيح (المسيح)، وقد عرف الرب منذ البدء، "وفي الغد نظر يوحنا يسوع مقبلاً إليه فقال هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم" (يوحنا ١: ٢٩)، وأيضاً نقرأ في إنجيل لوقا عن حبل اليصابات العجائبي بيوحنا، وزيارة العذراء مريم لنسيبتها اليصابات عندما كانت اليصابات في الشهر السادس من حملها وقد ارتكض جنينها بفرح عند سماع سلام مريم وعرف الرب وهو ما يزال في رحم مريم، "من أين لي هذا أن تأتي أم ربي إليّ. فهوذا حين صار صوت سلامك في أذني ارتكض الجنين بابتهاج في بطني" (لوقا ١: ٤٣-٤٤).

لقد علّم يسوع أن النبوءة التي تتحدث عن عودة إيليا تحققت بيوحنا، "وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي" (متى ١١: ١٤)، وان يوحنا هو الذي يسبق المسيا "صوت صارخ في البرية أعدّوا طريق الرب أصنعوا سبله مستقيمة".

قبل أن ينطلق الرب يسوع في بشارته للشعب، انطلق يوحنا الى برية الأردن ليهيئ الطريق للمسيح. مارس مهمته النبوية ضمن مجموعة من التلاميذ تميزت بالتوبة في انتظار الملكوت، المعمودية لغفران الخطايا، ثمّار البر، والنظام الروحي الصارم. لقد عاش يوحنا حياة نسكية، في الأصوام والفقير. لم تكن عيناه شاخصتين نحو الجسد وشهواته بل نحو الرب يسوع، وقد أثر على من حوله (أنظر مرقس ١١: ٣٢، لوقا ٧: ٢٩، أعمال ١٨: ٢٥، ١٩: ١-٧).

لقد تنبأ يوحنا بأن المسيا آت وهو أكبر منه "الذي يأتي بعدي صار قدّامي لأنه كان قبلي هو الذي يأتي بعدي الذي صار قدّامي الذي لست بمستحق أن أحلّ سيور حذائه" (يوحنا ١: ١٥ و ٢٧). وهذا المسيا سوف يعمّد ليس بالماء بل بالروح القدس (مرقس ١: ٨).



+ آباؤنا القديسون

عندما وقف يسوع أمامه لكي يعمده، أظهر يوحنا تواضعا كبيرا معلنا أنه هو المحتاج للمعمودية من المسيح يسوع لكن يسوع مانعه قائلا : اسمح الآن. لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر" (متى ٣: ١٥)، فأطاع يوحنا. صار هذا الحادث مألوفا في الأيقونة الأرثوذكسية المسيح في الأردن معتمدا على يد يوحنا، الروح القدس بهيئة حمامة فوقه، وصوت الأب قائلا: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (متى ٣: ١٧).

عمل يوحنا كان مهما بالنسبة لبشارة يسوع. ولقد اعتبر يسوع شهادة يوحنا مهمة, ليس لأن يسوع, ابن الله, بحاجة للمصادقة على بشارته من قبل انسان بشري, لكن لأن قبول الشعب ليوحنا كرجل الهي هيا الطريق لقبول يسوع أيضا : "أنتم أرسلتم الى يوحنا فشهد للحق. وأنا لأ أقبل شهادة من انسان ولكني أقول هذا لتخلصوا أنتم " (يوحنا ٥: ٣٣-٣٥). مجيء يوحنا كان بمثابة عودة الروح الى إسرائيل. فبعد انقطاع النبوة لمئات السنين, واعتبار العبرانيين هذه الفترة فترة جفاف وغضب إلهي لأن الله لا يرسل الأنبياء لتعزية الشعب, أتى يوحنا, وكان هذه إشارة الى العطف الإلهي وقرب مجيء المخلص. وقد كان الشعب ينتظر عودة إيليا إيدانا بمجيء المخلص.

بعد حادثة التجلي سأل التلاميذ الرب "لماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغي أن يأتي أولا. فأجاب يسوع وقال لهم إن إيليا يأتي أولا ويرد كل شيء. ولكني أقول لكم أن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا. كذلك ابن الإنسان أيضا سوف يتألم منهم. حينئذ فهم التلاميذ أنه قد قال لهم عن يوحنا المعمدان" (متى ١٧: ١٠-١٣) وكان يوحنا أتى بنفس الروح النبوي, الروح الإلهي الذي ألهم إيليا في القدم. ولهذا كان علامة لمجيء المخلص.

أول تلاميذ يسوع إندراوس كان من جماعة يوحنا (يوحنا ١: ٣٥-٣٩)، ولما نقص عدد الرسل الإثني عشر بخيانة يهوذا، اختير متياس من بين جماعة يوحنا (أعمال ١: ٢١ و ٢٢).

مات يوحنا مستشهدا على يد هيروودس الملك الذي وبخه يوحنا لأنه تزوج امرأة أخيه فيليبس. الكنيسة الأرثوذكسية تتذكر القديس يوحنا المعمدان كل يوم ثلاثاء من كل أسبوع، فترنم في الغروب والسحر الصلوات التي تكرم يوحنا المعمدان وتمدح دوره في المخطط الخلاصي. إضافة الى عيد قطع رأسه في ٢٩ آب، تعيد الكنيسة لمولده في ٢٤ حزيران، وتقيم تذكارا جامعا له في ٧ كانون الثاني نظرا لمشاركته الهامة في عماد الرب يسوع.